الثورة السبت 2 ربيع الأول 1432هـ الموافق 5 فبراير 2011م (16887)

«الأغنية الشّعبية الفلسطينية» لحسين سليم العطاري

■ عن بيت الشّعر في رام الله في العام 2008 صدر كتاب» «الأغنية الشّعبية الفلسطينية» لحسين سليم العطاري» في واقع 352.والمؤلف كتابه بالتعريف الذي يعتمده في كتابه للأغنية الشّعبية الفلسطينيّة، ويختزله في أنّ الأغنية الشّعبية الفلسطينيّة هي مقطوعة شعريّة شعبيّة مغنّاة،مجهولة الأصل، شائعة في المجتمع الفلسطيني، ويشترك في نظمها وأدائها عدد كبير من أبناء الشّعب ، وتتناقلها الأجيال عن طريق الرّوايّة الشّعبية معبّرة عن وجدان المجتمع. ويتوقّف مليّاً عند تفصيل قصده بالشّعريّة وتُغنّى ومجهولة الأصل وجماعية ثم يعرّج بعد ذلك على نشأة الأغنية الشّعبيّة في المجتمع الفلسطينيّ.

ويصنّف المؤلف الأغاني الشّعبية وفق الجنس والعمر والموضوع والأهداف والشّكل الفنيّ والتّسمية، فضلاً عن الإشارة إلى أهميتها ووظائفها من أهمّها: وظيفة الانتماء، ووظيفة التأكيد على بعض القيم ومحاولة نشدها،ووظيفة نفسيّة عاطفيّة،ووظيفة نقدية تربويّة.ضارباً الكثير من الأمثال الغنائيّة على ذلك في معرض حديثه عن الوظائف ومجالات بروزها في المجتمع الفلسطيني.

ويقسّم المؤلف الكتاب بعد هذه التمهيد إلى عناوين رئيسية تنطوي تحتها الأغاني وفق موضوعها، ويبدأ عناوينه بـ» أغاني الحجّاج» الذي يتناول أوّلاً أغاني « الحنين والتحانين» وهي تلك الأغاني الشّعبيّة التي تحضّ المسلم على الحّج، وتدعو إليه، واصفة بإسهاب تمثيلي كلّ حركاته وسكناته وأفعاله ورحلته ورحيله وطريق السّفر وطرق التعبّد ومشاق الفراق ووسائل الانتقال وسبل المعيشة في الرحلة ومدّتها، ومناسك الحجّ واصفة المشاعر الرّوحية التي تحتوي هذه الفريضة، والأماكن المقدّسة في البيت الحرام والمدينة المنورة بما في ذلك من حثّ على زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلمّ ومديحه والتشفّع بهِ أمام الله، والاستزادة من العبادات والأنفال،فضلاً عن نقل مشاعر الأهل الذين ينتظرون عودة الحجّاج بالهدايا والبخور وماء زمزم والحناء وعود النّد والخواتم.

وتحت عنوان» العودة من الحجّ» يرصد المؤلّف الأغاني التي كان يُستقبل بها الحجّاج بعد غياب كان يدوم لأكثر من ستة أشهر بما في ذلك من طقوس ترحيب وفرحة وسعادة ووصف للهدايا وولائم الاستقبال واستبشار بالمغفرة والبركة.

أمّا أغاني « شفاء المريض» فهي حكر فقط على كلّ مريض اضطر إلى النّزول في المستشفى، وإجراء عملية جراحيّة أو للعلاج والنّقاهة ثم عاد إلى بيته سالماً معافىً ممّا ألمّ به،عندها ترصد الأغاني الشّعبيّة الفرحة بعودته برفقة هدايا السّكر أو الحلو التي يحملها العائدون له معهم.

د.سناء الشعلان

في حين أنّ أغاني» النّجاح في الامتحان» تعبّر عن الفرح بالحصول على شهادة رسميّة رفيعة مثل : المترك والتوجيهي والبكالوريوس، وتكون ضمن حفلات كبيرة لاسيما في القرى، كما تكون فرصة دعائيّة للتعريف بالذّكور الناجحين، والبحث عن أزواج مناسبين للإناث النّاجحات.

وهذه الفرحة تشبه فرحة « عودة المسافر» الذي يقابل بالأغاني والزّغاريد والولائم وليالي السّمر الطويلة، وعادة ما ترافق وصوله مباشرة إلى الوطن حتى وصوله إلى بيته حيث يحتشد الأهل والأقارب والجيران للتّسليم عليه، ولأخذ نصيبهم من الهدايا.

أمّا أغاني « الطّهور»،فلها خصوصيتها التي ترافق الأفراح، والطّهور هو حفل ختان الصّبية عند المسلمين، وغالباً ما يكون ذلك في سنّ متأخرة فوق العاشرة.وتعامل هذه المناسبة بتقدير شعبي كبير، واهتمام أسريّ واضح،يرافقه شراء الملابس الجديدة للمطهّر وذبح الذّبائح وتوزيع الطّعام والسّكاكر والهدايا والمال على الحاضرين، وإقامة ليالي إنشاد وغناء.

والأغاني الشّعبيّة كذلك ترافق التضّرع لله، ففي حالة « الاستسقاء» هناك الأغاني التي تدعو الله، وتستسقيه، وترجوه إنزال المطر،وترافق هذه الأغاني سلوكيات كثيرة كحمل الجاروشة واصطحاب النّساء والأطفال والدّواب إلى صلاة الاستسقاء.

ويتوقّف المؤلف طويلاً عند أغاني « العقد والبناء» التي تصوّر مراحل تحضير مواد البناء ، وحفر الأساسات،واختيار مكانِ الحفرِ ثم الشّروع في البناء الذي يستغرق وقتاً طويلاً، يكون الغناء من أهم محفّزاته،والدّاعي لمشاركة الأهل والجيران فيه. وقد تتطرّق الأغاني إلى مواضع الفخر والمدح وذم الأعداء.

وهذا الحسّ الجماعي الذي يدفع العاملين إلى المزيد من العمل وإلى السرعة في الإنجاز يظهر كذلك في أغاني» العمل والإنتاج الزّراعي» التي تكرّس أهم نشاط في الحياة الاجتماعية الشّعبية، وهو نشاط الزّراعة العماد الأساس في حياة المزارعين.

وتظهر الأغاني الشّعبيّة كلّ مراحل الفلاحة، كما تظهر التّعب الذي يعانيه في حرفته، وتتوقّف الأغاني كثيراً عند التعشيب والحصاد وقطاف الزّيتون.

أمّا أغاني « الأطفال» المسمّاة « التّهاليل» فهي أغاني متنوعة وكثيرة، تنقل إلينا مشاعر الأمهات وعنايتهنّ بأبنائهن،كما تنقل أمنياتهنّ بأن يكبر الأبناء ، ويتزوّجوا ويسعدوا بحياتهم، ويكونوا عوناً لهنّ وللآباء في الحياة. وكثيراً ما تسرد الأغاني قصص الأبطال والقصص الخرافيّة التي تعطي العظة للأطفال، كما تذكي روح المتعة والخيال عندهم.

و» الزّغونيّة» هي من أهمّ أغاني الأطفال المشهورة في التّراث الفلسطينيّ، وهي الأغنية التي تغنّيها الأمهات للأطفال لمداعبة الأطفال وملاعبتهم عند الاستيقاظ من النّوم أو عند الاستحمام؛ لصرف انتباهه عن البكاء، وكثيراً ما تكون عن قصص الرّجال الأبطال الذين يدافعون عن الأرض، ويحمون العرض.

والأغاني الشّعبيّة قد تكون أداة من أدوات الحزن، لاسيما الحزن على الأموات، وهذا بارز في» البكائيات» التي تُقال في حالة وفاة الأقرباء والأهل، و» النّدب» هو من أشهر أنواع البكائيات، وهو نوع من الشّعر الشّعبي الذي تقوله النّساء واقفات وهنّ في حلقة النّوح يتحرّكن بشكل دائري يضربن كفاً على كفّ، والمرأة الأقرب من الميت تقف في وسط الحلقة تتحرّك بشكل هستيريّ، وتلطم خدّيها،وتضرب صدرها.كما هناك « النّواح»،وهو نوع من الشّعر الشّعبيّ تردّده النّسوة على القبر أو في البيت وهنّ جالسات.

وفي المقابل تحتلّ أغاني « العرس/ الزّواج» جزءاً كبيراً من الكتاب، وتغنّي النّساء في هذه المناسبة ألواناً متعدّدة، تقال في مواقف كثيرة ابتداءً من النيّة في زفاف أحد الشّبان وحتى صبيحة اليوم التالي لليلة الدّخلة حيثُ تقام الصباحيّة، وتليها أيام تحدّد لتلقّي التهنئة. وفي كلّ موقف من مواقف العرس تغنّي النّساء بعض الألوان من الغناء سواء أكان ذلك في بيت العريس أم في ساحة التعليلة(السّهرة) أم عند زيانة العريس(الحلاقة) أم حمّامه أم الزّفة أم الصّمدة أم الدّخلة.وكذلك الحال عند العروس.

وتحت هذا النّوع من الغناء الشّعبي يفرد المؤلف عناوين بعينها لموضوعاته ومواقيته ومناسباته، يعقدها تحت العناوين التالية: أغاني الخطبة،وأغاني أسبوع الزّفاف، أغاني التّعاليل، وهي سهرات ماقبل حفل الزّواج،وأغاني سهرة العروس وليلة الحنّاء، وأغاني يوم الزّفاف،وأغاني حلاقة العريس، وهي المسمّاة(الزّيانة)،وأغاني زفّة العريس، وأغاني الفاردة أو الفرّادة، وهي تعني عملية إحضار العروس من بيت والدها إلى بيت زوجها،وقد جرت العادة أن تتمّ هذه العملية عن طريق مجموعة من أهالي العريس رجالاً ونساء ،وأغاني النّقوط،وهو المال الذي يقدّم من الأهل والجيران والأصدقاء للعروسين هدية بمناسبة زواجهما. وبهذه الأغاني السّعيدة البهيجة يختم المؤلف كتابه.

selenapollo@hotmail.com

يصف الهند في فترة الأربعينيات والخمسينيات

«تسلق أشجار المانغا»

● أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً بعنوان «تسلق أشجار المانغا» لمؤلفته مادور جافري (Madhur Jaffrey)، وقامت بترجمته إلى اللغة العربية دكتور سرى خريس.

يسترجع الكتاب سيرة الطفولة السعيدة للمؤلفة في الهند إبان الثلاثينيات، كما يقدم وصفاً شيقاً يتميز بالصدق والأصالة للأحداث السياسية التي عاشتها الهند في الأربعينيات والخمسينيات، ويتميز الكتاب بأسلوبه المسهب الذي يرسم للقارئ أدق التفاصيل المتعلقة بعائلة هندية جمع نمط حياتها التقاليد الهندوسية والإسلامية والبريطانية، فعلى سبيل المثال، يصف الكتاب تفاصيل الحياة اليومية لعائلة جافري الهندوسية، متطرقاً إلى أدق التفاصيل مثل الملبس والمأكل والمشرب وحفلات الزفاف والولائم وطقوس الجنازة، وتقدم المؤلفة، بالإضافة إلى ذلك، وصفاً لمشاعر الشعب الهندي بطوائفه المتعددة في فترة الانقسام، وتوضح تبعات الأحداث السياسية التي تلت هذه الفترة، ودورها في تعريف الشعب الهندي بالشعب البنجابي وعاداته وتقاليده، ولاسيما أطعمته وأطباقه.. تُثري جافري كتابها بتقديم وصف للرحلات الموسمية التي قامت بها عائلتها إلى مرتفعات الهيملايا، ما يُعرف القارئ بالطبيعة الخلابة التي تتميز بها تلك المناطق، وثمة فصل كامل تصف فيه طريقة تحضير أشهر الأطباق الهندية والبنجابية، الأمر الذي يحفز شهية القراءة.

ومؤلفة الكتاب ممثلة هندية اشتهرت بتأليف العديد من الكتب المتخصصة بالأطعمة الهندية، وُلدت في دلهي والتحقت بكلية ميراندا هاوس التابعة لجامعة دلهي، ثم عملت في إذاعة «كل الهند»، لتلتحق بعد ذلك بـ«الأكاديمية الملكية للفنون المسرحية» وتخرجت فيها عام ١٩٥٧.. عملت جافري في التمثيل وحازت جوائز عدة منها جائزة «سيلفر بير» في مهرجان برلين العالمي الخامس عشر للأفلام عن دورها في فيلم «الشكسبيريّ» (١٩٦٥). وشاركت في أفلام مختلفة مثل «الغورو» (١٩٦٩)، «وسيرة حياة أُميرة» (١٩٨٨) و«الجريمة الكاملة» (١٩٨٨) وغيرها، كما كُرمت عام) ٢٠٠٤(بوسام الفروسية البريطاني (CBE) برتبة قائد تقديراً لدورها في تطوير العلاقات الثقافية بين المملكة المتحدة والهند والولايات المتحدة الأمريكية، عبر أعمالها السينمائية والتلفزيونية وكتاباتها الخاصة بفن الطهو.

ترجمت الكتاب د. سرى خريس، الأستاذ المساعد في النقد والأدب الإنجليزي، حصلت على درجة الدكتوراه من الجامعة الأردنية عام ٢٠٠١، وتعمل حالياً في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة العلوم التطبيقية الخاصة في عمّان، الأردن.. تنصب اهتماماتها على الدراسات النسوية والأدب العالمي، ومن أعمالها «صورة الأمومة في القصة القصيرة لتوماس هاردي» دراسة نسوية (١٩٩٥). تمثيل المكان والعلاقات العرقية في روايات نادين غوردامائير (٢٠٠١) و» هل هذه قصيدة؟» (٢٠٠٦). و«وولفجامج آيزر: قراءات محتملة لقصة التحول لكافكا» (٢٠٠٧).

إعـــــــــــلان